إباض، وابن الصفار يدعوهما ومن معهما إلى ذلك ، فقرأ ابن الصفار الكتاب ولم يقرأه على أصحابه خشية أن يتفرقوا ويختلفوا فأخذه ابن إباض فقرأه ، فقال : قاتله الله أي رأي رأى ؟ صدق نافع لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً وكانت سيرته كسيرته في المشركين ولكنه قد كذب فيما يقول : إن القوم برآء من الشرك ولكنهما كفار بالنعم والأحكام ولا يحل لنا إلا دماءهم وما سوى ذلك فهو حرام علينا ، فقال له ابن الصفار: برئ الله منك فقد قصرت وبرئ الله من ابن الأزرق فقد غلا، فقال الآخر : برئ الله منك ومنه . (٥٤)

وقد وافق الحارثي ابن الأثير في مصاحبة ابن إباض لابن الأزرق وابن الصفار في بداية أمرهما ثم اختلفوا بناء على اعتقاد كل واحد منهم في حكمه على المسلمين .

قال الحارثي :" وكان من هؤلاء القعدة عبد الله بن إباض وابن الصفار وابن الأزرق ، وبعد أن استقر بهم المقام في البصرة راحوا يتناقشون فيما يمضون إليه من أمر بعد ذلك ، وقد اتفقوا على الخروج ، ومع ذلك تروي المصادر أنه " لما جن الليل ، سمع عبد الله دوي القراء ، ورنين المؤذنين وحنين المسبحين ، فقال لأصحابه : أعن هؤلاء أخرج معهم ؟ فرجع وكتم أمره واختفي مؤثراً البقاء وعدم مفارقة الجماعة . " (٥٥)

وهذا واضح من عدم مفارقة ابن إباض صفوف الجماعة الذي هو منهم ، إلا انه اختلف معهم في بعض الأحكام التي سبق أن ذكرناها ، التي على رأسها أن المسلمين كفار بالنعمة وبالأحكام وأنهم مشركون كمشركي

(٥٤) ابن الاثير ــ الكامل في التاريخ ص٣٣٦.

(٥٥) الحارثي ــ العقود الفضية ص١٢٢ .

العرب ، بينما ذهب عبد الله بن يحيى الإباضي إلى أن المسلمين كفار غير مشركين .

وهذا ما ذكره الشهرستاني في الملل حيث قال :-

" قيل : إن عبد الله بن يحيى الإباضي كان رفيقا لعبد الله بن إباض في جميع أحواله وأقواله ، قال : إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة وأموالهم حلال وغنيمة ، وأموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال ، وما سواه حرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة ، وقالوا : إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد ، إلا معسكر السلطان فإنه دار بغى ."(٥٦)

فالأمر متضارب بين أئمة الإباضية ، فبينما يذكر ابن إباض أن مخالفيهم من أهل القبلة مشركين كفار نعمة ، يقول عبد الله بن يحيى الإباضي إن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين ، هذا اضطراب واضح فيما اعتقدوه وذهبوا إليه وما أراهم إلا قد باءوا هما بإحداهما أو بالاثنين والعياذ بالله .

وهذا جانب ضئيل من معتقداتهم التي سوف نعرضها بالتفصيل في موضعه بإذن الله.

أما بالنسبة لفرقهم فنحن قد ذكرنا أن ابن إباض كان واحداً من جماعة القاعدة التي تفرقت بعد ذلك وسموا بمسميات جلية ضمتها كتب الملل والنحل ، والمقالات ، والفرق بين الفرق أن كلهم خوارج ، وأيضا ابن حزم في الفصل قد جعل أحد فرق الإباضية منسوبة للخوارج وهى فرقة

---

(٥٦) الشهرستاني ــ الملل والنحل ج١ ص١٣٤.

اليزيدية ، وسوف نذكر ملامح فرق الإباضية من خلال تلك المصـــادر ، فقد أجمعت تلك المصادر على أن الإباضية قد انقسمت إلى أربعة فـــرق وهم :

الحفصية ــ الحارثية ــ اليزيدية ــ وأصحاب طاعة لا يُراد الله بها .

أولاً : فرقة الحفصية .

هذه فرقة من فرق الإباضية لها آراء غريبة ، أولها قولهم إن معرفـــة الله هي الفيصل بين إيمان العبد بالله وشركه ، وأن الذي يرتكب المحرمـــات فإنه لا يُعد مشركاً بل كافراً (ساتراً لأحكام الله) .

أما الكفر لديهم فهو الجهل بالله أو إنكاره ، وقد تأولوا بالذنب في عثمـــان وعلي كما تأولت الشيعة في ذم أبي بكر وعمر ، وأيضاً مدحت الحفصيـة في **عبد الرحمن بن ملجم** ، كل ذلك مستدلين عليه بآيات مـــن القـــرآن الكريم أولوها بحسب زعمهم وعقولهم المريضة ومعتقداتهم الفاسدة .

ذكر صاحب المقالات وصاحب الفرق بين الفرق وصاحب الملل والنحل أن :-

" هذه الفرقة أول فرق الإباضية ، وهى منسوبة إلى **حفـــص بـــن أبـــى المقدام** زعم أن بين الشرك والإيمان خصلة واحدة وهى معرفة الله عـــز وجل ، فمن عرف الله ثم كفر بما سواه من رســـول أو جنـــة أو نـــار أو عمل بجميع الخبائث من قتل النفس واستحلال الزنا وسائر ما حرم الله ﷻ من فروج النساء فهو كافر برئ من الشرك ، وكذلك مـــن اشـــتغل بسائر ما حرم الله مما يؤكل ويشرب فهو كافر برئ من الشرك ، ومـــن جهل بالله سبحانه وأنكره فهو مشرك فبرئ ، وتأولوا في عثمان نحو مـــا تأولت الشيـــعة في أبى بكر وعمر وزعم أن علياً هو الحيران الذي ذكره

الله في القرآن ، قال تعالى :

﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ... ﴾ الأنعام ٧١ .

وأن أصحابه الذين يدعونه إلى الهدى أهل النهروان .

وزعم أن علياً هو الذي أنزل الله سبحانه فيه :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ..﴾ البقرة ٢٠٤ .

وأن عبد الرحمن بن ملجم هو الذي أنزل فيه :﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ .﴾ البقرة ٢٠٧.

ثم قال بعد ذلك : الإيمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد الله ، فمن كفر بذلك فقد أشرك بالله . (٥٧)

ثانياً : فرقة الحارثية .

هذه الفرقة منبوذة من فرق الإباضية ؛ لأنهم قالوا في أفعال العباد بالاستطاعة والقدرة مثل المعتزلة ، وقد كفرتهم الحفصية واليزيدية وأصحاب طاعة لا يُراد الله بها .

لأن هؤلاء قالوا إن أفعال العباد مخلوقة لله مثل أهل السنة .

وزعمت الحارثية أيضاً أن ليس لهم إمام سوى عبد الله بن إباض وحارث بن يزيد الإباضي مستبعدين بذلك إمامة عبد الله بن وهب وأبي بلال وعمران وجابر بن زيد .

---

(٥٧) انظر : أبا الحسن الاشعري ــ مقالات الإسلاميين ص١٠٢
وأيضا عبد القاهر البغدادي ص٨٣ ، وأيضا الشهرستاني في الملل والنحل ج١ص١٣٢.

قال الشهرستاني والاشعري :-

" هؤلاء أصحاب **حارث بن يزيد الإباضي** ، وهم الذين قالوا في باب القدر بمثل قول المعتزلة وزعموا أيضاً أن الاستطاعة قبل الفعل . " (٥٨)

وقد زاد البغدادي بقوله :-" وقد كفرهم سائر الإباضية في ذلك ؛ لأن جمهورهم على قول أهل السنة في أن الله تعالى خالق أعمال العباد وفي أن الاستطاعة مع الفعل ، وزعمت الحارثية أنه لم يكن لهم إمام بعد المحكمة الأولى إلا **عبد الله بن إباض** وبعده **حارث بن يزيد الإباضي**"(٥٩)

ثالثاً : أصحاب طاعة لا يراد الله بها .

زعمت هذه الفرقة أنه يصح وجود طاعات لا حد لها ممن لا يريد الله تعالى بها ، وهذا مثل ما قال به أبو الهزيل وأتباعه من القدرية .

قال الأشعري :- " أصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها على مذهب "أبي الهزيل " ومعنى ذلك أن الإنسان قد يكون مطيعاً لله إذا فعل شيئاً أمره الله تعالى به ، وإن لم يقصد الله بذلك الفعل ولا أراده به . " (٦٠)

لكن هذا لا يصح إلا في طاعة واحدة فقط وهى النظر و الاستدلال على وجود الله ووحدانيته ؛ لأنه قبل معرفة ذلك كيف يكون متقرباً إلى من لم يستدل عليه بعد ؟

قال البغدادي : " قال أصحابنا أن ذلك لا يصح إلا في طاعة واحدة وهو النظر الأول إذا استدل به كان مطيعاً لله تعالى في فعله وإن لم يقصد به

---

(٥٨) الشهرستاني ــ الملل والنحل ج١ ص١٣٦، وأيضا أبو الحسن الاشعري ص ١٠٤ .

(٥٩) عبد القاهر البغدادي ــ الفرق بين الفرق ص٨٤.

(٦٠) أبى الحسن الأشعري ــ مقالات الإسلاميين ص ١٠٥.

التقرب إلى الله تعالى لاستحالة تقربه إليه قبل معرفته ، فإذا عرف الله تعالى فلا يصح منه بعد معرفته طاعة منه لله تعالى إلا بعد قصده التقرب بها إليه ." (٦١)

رابعاً : فرقة اليزيدية .

هذه الفرقة من غلاة الإباضية وهى منسوبة إلى **يزيد بن أبي أنيسة الخارجي** ، وهو ليس المحدث المشهور ، وكان من البصرة ثم انتقل إلى تون بأرض فارس ، وكانت له آراء متطرفة ، منها عدم إيمانه بأن محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن الله سيرسل نبي آخر الزمان من العجم ويكون من غير العرب ، بل من العجم ــ وبالتحديد من العجم ــ وأنه سيأتي بكتاب سماوي ناسخاً لشريعة الإسلام ، وأتباعه سيكونون من الصابئة المذكورين في ثلاثة مواضع من القرآن . (٦٢)

وأقر بإيمان أهل الكتاب الذين اعترفوا بنبوة سيدنا محمد ﷺ وإن لم يدخلوا في دين الإسلام مثل : العيسوية والريعانية ، وكان يقول :-

" إن في هذه الأمة شاهدين عليها هو أحدهما والآخر لا يدري من هو ولا متى ولا يدري لعله قد كان قبله ، وأن من كان من اليهود والنصارى يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله إلى العرب لا إلينا ــ كما تقول العيسوية من اليهود ــ قال فإنهم مؤمنون أولياء الله تعالى وإن ماتوا على

---

(٦١) عبد القاهر البغدادي ــ الفرق بين الفرق ص٨٥.

(٦٢) قوله تعالى (إن اللذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من ءامن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) سورة البقرة ٦٢. وقوله تعالى(إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) سورة المائدة رقم ٦٩ .
وقوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) الحج رقم ١٧.

هذا العقد على التزام شرائع اليهود والنصارى ، وأن دين الإسلام سينسخ بنبي من العجم أتى بدين الصابئين وبقرآن آخر ينزل عليه جملة واحدة."(٦٣)

ورغم هذا التطرف والغلو فيما ذكر زعم أنه هو وأتباعه على الحق وأن من كذب أقواله واستنكرها فهو غير مسلم ، وقد تولى المحكمة الأولى ، ثم تبرأ من كل ما جاء بعده ، وردّ ما قالته الحفصية في إكفار من ارتكب المحرمات أو أنكر أحد الأنبياء فهو برئ من الشرك .

قال صاحب المقالات عن اليزيدية : " نتولى المحكمة الأولى ونتبرأ ممن كان بعد ذلك من أهل الأحداث ونتولى الإباضية كلها ، ويزعمون أنهم مسلمون كلهم إلا من بلغه قولنا فكذبه أو من خرج ، وخالفوا الحفصية في الإكفار والتشريك وقالوا بقول الجمهور ، وحكى **يمان بن رباب** أن أصحاب **يزيد بن أنيسة** قالوا بالتشريك وتولى يزيد المحكمة الأولى قبل نافع وبرئ ممن كان بعدهم ، وحرم القتال على كل أحد بعد تفريقهم وثبت على ولاية الإباضية إلا من كذبه أو بلغه قوله فرده ." (٦٤)

وهذه الفرق الأربع قد اختلفوا في مسمى النفاق على ثلاثة آراء :-

الأول:- أن مسمى النفاق لا يطلق إلا على جماعة معينين كانوا في عصر النبي ﷺ دون غيرهم .

والرأي الثاني : ذهب إلى أن كل منافق مشرك ؛ لأن النفاق ضد التوحيد ومغاير للتوحيد .

---

(٦٣) ابن حزم الظاهري ــ الفصل في الملل والأهواء والنحل ط دار الفكر ١٩٨٠ ج٤ ص١٨٨ وانظر عبد القاهر البغدادي الفرق بين الفرق ص٢٦٣ وانظر الشهرستاني / الملل والنحل ج١ ص١٣٦ .

(٦٤) أبو الحسن الأشعري ــ مقالات الإسلاميين ص١٠٣ .

وأما الرأي الثالث : فقد ذهب إلى أن النفاق لا نستطيع وصفه بالشـــرك ولا بالإيمان ولكنه بين هذا وذاك محتجين بأية النساء

قال ﷻ:﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاء..﴾ النساء١٤٣ .

قال صاحب المقالات وصاحب الفرق وصاحب الملل والنحل عن ذلك:-

" واختلفوا في النفاق على ثلاثة أقوال ، فقال فريق منهم إن النفاق بـواءة من الشرك والإيمان جميعاً واحتجوا بقول الله عز وجل في المنافقين :

﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاء..﴾ سورة النساء ١٤٣ .

وفرقة منهم قالت كل نفاق شرك لأنه يضاد التوحيد .

وفرقة ثالثة قالت لا نزيل اسم النفاق عن موضعه ولا نسمي بالنفاق غير القوم الذين سماهم الله تعالى منافقين ، ومن قال منهم بأن المنـــافق ليـــس بمشرك وزعم أن المنافقين على عهد رســـول الله ﷺ كـــانوا موحديـــن وكانوا أصحاب كبائر فكفروا وإن لم يدخلوا في حد الشرك . " (٦٥)

الإباضية تنكر صلتها بالخوارج.

ذكرنا فيما سبق أن لفظ خارجي أو خوارج هو كل من خرج عن صـــف الإمام الذي اتفقت عليه جموع الأمة بأسرها ، وهذا التعريف بمعناه العـــلم لا يختص بزمن معين ولا بمكان بعينه ، ولكن مسمى الخـــوارج الـــذي علمناه من كتب التراث أطلق على جماعة معينة معروفة زمنها ومكانها ، وهم الذين خرجوا في معركة صفين على **الإمام علي بن أبي طالب** ﷺ ، كان أوضح من سموا في هذه الكتب ووصفوا بالخروج عن صف الإمـــام **علي بن أبي طالب** ﷺ هم : **الأشعث بن قيس الكندي ، ومســـعر ابـــن**

(٦٥) أبو الحسن الأشعري صاحب المقالات ص١٠٣ وأنظر عبد القـــاهر البغـــدادي ص٨٥ وأنظر الشهرستاني ــ الملل والنحل ج١ ص١٣٥

فدكي التميمي ، **وزيد بن حصين الطائي** وكان أشهر ما قالوه (**إن الحكم إلا لله**) وهذه كلمة حق أريد بها باطل ، حيث جادلوا الإمام علي ﷺ كثيراً بهذه الكلمة التي تستروا خلفها .

" وكانوا يقولون القوم يدعوننا إلى كتاب الله ، وأنت تدعونا إلى السيف " حتى قال : أنا أعلم بما في كتاب الله " انفروا إلى بقية الأحزاب انفروا إلى من يقول : كذب الله ورسوله ، وأنتم تقولون : صدق الله ورسوله قالوا : لترجعن الأشتر عن قتال المسلمين ، وإلا فعلنا بك مثل ما فعلنا بعثمان ، فاضطر إلى رد الأشتر بعد أن هزم الجمع ، وولوا مدبرين وما بقي منهم إلا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة فامتثل الأشتر أمره . " (٦٦)

والغريب أن **الإمام علي بن أبي طالب** كان رافضاً بادئ الأمر مسألة التحكيم كلها ، حيث إنه كان أعلم بحيل ومكر بني أمية ، لكنهم حملوه على ذلك ، ففضل الإمام علي أن يبعث من هو كفء لهؤلاء القوم الماكرين ورشح ابن عمه **عبد الله بن عباس** ﷺ لما اشتهر به من مكانة عالية في الدين لدرجة أن النبي ﷺ لقبه بحبر هذه الأمة ، لكنهم راجعوه وأنكروا عليه اختياره بحجة أنه ابن عمه وأنه منه وسيتحدث بعصبية للإمام واختاروا بدلاً منه **أبا موسى الأشعري** .

عندما خدع من اختاروه من **عمرو بن العاص** ﷺ أعادوا الكرة بقولهم لا حكم إلا لله ، وصاروا يعودون على الإمام باللوم بسبب الحكمين إلى درجة أن كفروه وكفروا كل من ارتضى بحكم الحكمين .

فهذه هي الخوارج التي خرجت على **الإمام علي بن أبي طالب** ﷺ في الآراء الغريبة والأحكام المتطرفة وعن توحد الصف .

---

(٦٦) الشهرستاني ــ الملل والنحل ج١ ص١١٤ .

أما الإباضية فلهم معنى خاص في تعريف الخوارج :-

وهو معنى حركة القوم وخروجهم من مكان إلى آخر بهدف التقرب إلى الله وإلى مرضاته وعدم الإبقاء مع من يغضبه أو يتجاوز حدوده ، وقد وصفوا أهل الخوارج بأنهم قوم مسبحون عباد قراء زهاد في هذه الدنيا ، وقالوا ذلك نقلا عن الإمام علي بنفسه ، وهذا من خلال مصادرهم ومراجعهم الإباضية ، حيث قالوا :-

" سُمي الخوارج بهذا الاسم بسبب خروجهم من الكوفة إلى النهروان وكان ذلك في أول أمرهم ، ولم يكن خروجهم في ذلك الوقت خروجاً عن الدين أو مروقاً عن الجادة أو الأمة ، بل لعل العكس هو الصحيح ، فمن الثابت ــ كما ذكرنا من قبل ــ أن **الإمام على بن أبي طالب** ﷺ لما سئل عن هؤلاء ووصفوا أمامه بالكفر والمروق قال كرم الله وجهه : بل من الكفر فروا ، ونفى عنهم النفاق ، ولما سئل أهم منافقون ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً ، وهؤلاء يذكرون الله بكرة وأصيلاً.(٦٧)

والإباضية تعطي للفظ الخروج معنى سامياً وهو الجهاد في سبيل الله محتجين على ذلك بأدلة من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ...﴾ النساء ١٠٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ .﴾ التوبة ٤٦ .

(٦٧) القلهاتي ــ الكشف والبيان ج٢ ص٢٥٢.

أيضا قوله تعالى :﴿ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً ... ﴾ التوبة ٨٣ .

ويعنون بذلك أن الجماعة الأولى التي خرجت على **الإمام على بن أبي طالب** كانت تبغي الجهاد في سبيل الله ؛ لأنهم كانوا متيقنين أنهم على الحق ، وأن الذين خالفوهم وقعدوا ولم يخرجوا معهم كانوا على خلاف ذلك .

وقد استدلوا على ذلك بآيات قرآنية منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ...﴾ التوبة ٨٣ .

وللإباضية معنى خاص في مسمى الخروج فهم لا يتبحون الخروج السياسي الذي يكون مخالفاً للحاكم بل يجعل الخروج مذموماً إذا كان متعلقاً بمخالفة قواعد الشرع والقيام بسفك دماء المسلمين واستحلال أعراضهم وأموالهم مثل صنيع الأزارقة .

قال **عمار طالبي** : " للإباضية رأي في الخوارج وفي الخروج ، وذلك أن الإباضية رغم موالاتها للمحكمة الأولى ــ وعلى رأسهم عبد الله بن وهب الراسبي ــ فإنهم يتصورون الخروج على أنه مروق من الدين وردة ، ولا يرون الخروج السياسي موجباً لتسمية من قام به خارجياً ، فلا يسمون من خرج عن عثمان ولا من خرج عن معاوية خوارج وإنما كان موقفهم من هذا كله موقفاً خاصاً لأنهم تمسكوا بنص الحديث ، فالخروج من الدين إنما يكون بإنكار أصل ثابت من أصوله ، أو بالعمل بما يتنافى مع تلك الأصول المقطوع بها ؛ لأن العمل بذلك هو الردة ، والإنكار لما يجب أن يكون عليه سلوك المسلم الذي حدده القرآن .

ومن هنا فإنهم يتصورون الفرقة التي ينطبق عليها مفهوم الخارجية الوارد في الحديث وهو المروق من الدين ، وإنما هي فرقة الأزارقة ، ومن كان على شاكلتها ، لما يقومون به ، ويعتقدونه من سفك دماء المسلمين وأخذ أموالهم ، وسبي نسائهم وأطفالهم ، مستحلين ذلك كله .(٦٨) ورغم اعتبار الخروج له مكانة سامية مقدسة عند الإباضية من خلال ما استشفوه من آيات القرآن الكريم السابقة الذكر إلا أنهم استنكروا نسبتهم للخوارج حيث إن الخوارج الذين تسموا بهذا الاسم كانت لهم صفحات سود في تاريخ الإسلام خصوصاً الأزراقة والصفرية والنجدات ، والإباضية تنأى بنفسها عن تلك الفرق وتستنكر أفاعيلها وتفضل وصف نفسها بأنها فرقة مسالمة هادئة الاعتقاد معتدلة الاعتقاد غير متطرفة مثل فرق الخوارج ، **قال أحد كتابهم :-**

" إطلاق لفظ الخوارج على الإباضية ــ أهل الحق والاستقامة ــ من الدعايات الفاجرة التي نشأت عن التعصب السياسي أولاً ، ثم عن المذهبي ثانياً ، لما ظهر غلاة المذاهب ، وقد خلطوا بين الإباضية والأزارقة والصفرية والنجدية ، فالإباضية أهل الحق لم يجمعهم جامع بالصفرية والأزارقة ومن نحا نحوهم إلا إنكار الحكومة بين علي ومعاوية وأما استحلال الدماء والأموال من أهل التوحيد والحكم بكفرهم كفر شكر، فقد انفرد به الأزراقة والصفرية والنجدية وبه استباحوا حمى المسلمين ، ولما كان مخالفونا لا يتورعون ، ولا يكلفون أنفسهم مؤنة البحث عن الحق ليقفوا عنده خلطوا بين الإباضية ــ أهل الحق الذين لا

(٦٨) عمار طالبي ــ آراء الخوارج الكلامية ص٣٠ ــ ٣١ .

يستبيحون قطرة من دم موحد بالتوحيد الذي معه ، وبين من استحلوا الدماء بالمعصية الكبيرة حتى قتلوا الأطفال تبعا لآبائهم ، مع أن الفرق كبير جداً كالفرق بين المستحل والمحرم ،فماذا بعد الحق إلا الضلال."[٦٩]

ولكن إذا كان هذا هو حال الإباضية وحقيقتهم المعتدلة التي يتحدثون بها ، فمن إذاً الذي قاتل الإمام علي في معركة النهروان ؟ ومن الذي حكم عليه وعلى شيعته بالكفر ؟ وليسو وحدهم هم الذين حكموا عليهم بالكفر بل حكموا على عثمان وطلحة والزبير وعائشة وأصحاب الجمل ومعاوية .

قال عبد القاهر البغدادي :- " إن المحكمة الأولى قالوا بتكفير علي وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وأصحاب الجمل وتكفير معاوية والحكمين وتكفير أصحاب الذنوب من هذه الأمة . " [٧٠]

بل إنهم قالوا إن هذه الأمة كفار برآء من الشرك.

ومن الذي استحل دماءهم في العلن ؟

ومن الذي استحل خيل وسلاح المسلمين ؟

أليس هؤلاء الإباضية ؟ أو ليست هذه آراء ابن إباض زعيمهم ؟

ومن الذي قال بأن الإيمان هو معرفة الله سبحانه وتعالى فقط والكفر بما سوى ذلك من رسول أو جنة أو نار أو عمل بجميع المحرمات من قتل النفس واستحلال الزنا يكون كافر برئ من الشرك ؟ أليست هي فرقة الحفصية التي هي من فرق الإباضية ؟

ومن الذي قال بالقدر وخالف أهل القبلة في أفعال العباد أليس هم الحارثية الذين هم من فرق الإباضية ؟

---

(٦٩) أبو إسحاق السالمي ــ تحفة الأعيان ص٦ .

(٧٠) عبد القاهر البغدادي ــ أصول الدين دار الآفاق الجديدة بيروت لبنان ص٣٣٣.

ومن الذي قال إن هناك طاعات كثيرة ممن لا يريد الله تعالى بها ؟
أليس هم أحد فرق الإباضية ؟
ومن الذي قال بعدم خاتمة رسالة رسول الله ﷺ ؟ وأن هناك نبي سيأتي من العجم آخر الزمان ؟ ومن قال إن هناك شاهدين على هذه الأمة أحدهما زيد بن أنيسة ؟ أليس الذي قال هذه الآراء المتطرفة القبيحة هي فرقة اليزيدية التي هي أحد فرق الإباضية ؟
ومن الذي قال بعدم رؤية الله ؟ واستبعاد أحاديث الآحاد في المسائل العقائدية وعدم الشفاعة في مرتكب الكبيرة أليسوا هم الإباضية ؟
وهذا ما سنتعرض له بالتفصيل عند التحدث عن بعض معتقدات القوم في موضعه بإذن الله تعالى خصوصاً الثلاث نقاط الأخيرة (رؤية الله وأحاديث الآحاد والشفاعة)
لكننا نجد الإباضية تبين مدى التباس الناس بالخلط بين نسبة الإباضية للخوارج أو عدمه يرجع لسببين:-
أولهما :-أن فرقة الخوارج قد اشتركت مع الإباضية في إنكارهما للتحكيم .
وثانيهما:- أن مسمى الخوارج لم يطلق إلا بعد فترة من التحكيم وخصوصا بعد ظهور الأزارقة .
قال أبو إسحاق أطفيش :-" وعلى ذلك فإن السبب الأول هو ما ذهب إليه من يتولهم الإباضية من المحكمة الأولى من إنكار التحكيم ، فإن الخوارج قد شاركوا في إنكار التحكيم ، فكان ـ من ثم ـ شبهة الجمع بين كل منكري التحكيم في صعيد واحد .

أما السبب الثاني فإن تسمية الخوارج لم تكن معهودة في أول الأمر وإنما هي انتشرت بعد انتشار أمر الأزارقة ، ولم تعرف هذه التسمية في أصحاب علي المنكرين للتحكيم والراضين به ، ولعل أول ما ظهر هذا اللفظ بعد ثبوت الأمر لمعاوية والاستقرار . " (٧١)

ولكن هنا خلط والتباس عند الإباضيين بين مسمى الإباضية والخوارج فكلاهما لم يكن مسمى بهذا الاسم حال التحكيم ، بل كانوا جماعة واحدة سموا بجماعة المسلمين أو القاعدة ، ولم نجد من أشار إلى التمييز بين إباضية وخوارج في عصر الإمام على بن أبي طالب ﷺ ، فكلهم قاتل الإمام وشيعته في النهروان وقُتل من قتل ونجا القليل منهم .

ثم إن تسمية الخوارج التي قالوا إنها لم تظهر إلا بعد الأزارقة هذا كلام مستبعد لأن فرقة جماعة المسلمين أو القاعدة أو المحكمة كانوا يتمادحون مسمى الخروج ويستنكرون القعود وكانوا يعتبرون الخروج شرف لنيل درجة الشهادة وأن الخروج جهاد يبتغى به مرضاة الله عز وجل استمدوا ذلك من خلال آيات القرآن الكريم التي سبق الإشارة إليها ، هذا ويضاف إلى أن مسمى الإباضية قد أتى متأخراً بعد ظهور **عبد الله بن إباض** وبعد رسوخ الدولة الأموية حيث كان مصاحبا لزعماء الأزارقة والصفرية والنجدات ، لكنهم تفرقوا بعد كتاب **نافع بن الأزرق الحنفي** رأس الأزارقة كما سبق الإشارة إلى ذلك من قبل٠

والإباضية معترفة بجميع ما أحدثه ابن الأزرق من مفاسد في الاعتقاد والأحكام والتعامل مع الناس ٠

(٧١) أبو إسحاق إبراهيم أطفيش : الفرق بين الإباضية والخوارج ص٩.

قال القلهاتي : " الأزارقة إمامهم أبو راشد نافع بن الأزرق ، وهـــو أول من خالف اعتقاد أهل الاستقامة ، وشق عصا المسلمين ، وفرق جماعتهم، وانتحل الهجرة وسبي أهل القبلة ، وغنم أموالهم ، وسبي ذراريهم ، وسن تشريك أهل القبلة ــ بينما كفرهم ابن إباض وبرأهم من الشرك ــ و تبرأ من القاعد ولو كان عارفاً لأمره تابعاً لمذهبه ، واستحل أعراض النـــاس بالسيف ، وانتحل الهجرة وحرم مناكحتهم وذبائحهم وموارثتهم ، وابتـــدع اعتقادات فاسدة وآراء حائدة خالف فيها المسلمين أهل الاســـتقامة فـــي الدين . " (٧٢)

وقد حرصت الإباضية على التبرأ من ابن الأزرق وأفعاله في المســـلمين لكنهم كانوا متطرفي العقيدة مثله رغم تبرأتهم ممن أحلوا (ابن الأزرق) من استحلال الدماء بالقتل بدون وجه حق وسبي النساء وقتل أطفالهم .

قال البرادي :-" لقد حرص ابن إباض في رسالته إلى **عبد الملـــك بـــن مروان** أن يقرر رأيه بصراحة في ابن الأزرق ، فذكر فيها قوله : إنـــا براء إلى الله من ابن الأزرق وصنيعه واتباعه ، لقد كان حين خرج علـــى مبادئ الإسلام فيما ظهرا لنا ؛ ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد إسلامه فنبرأ إلى الله منهم . " (٧٣)

وهكذا حرصت الإباضية على أن توضح الصورة بالبراءة من اعتقـادات وأحكام وأفعال ابن الأزرق ، فالرسالة السابقة من ابن إباض إلـــى عبـــد الملك بن مروان دليل يقدمه الإباضيون على ذلك ويضيفون إليه بعـــض

(٧٢) القلهاتي : الكشف والبيان ج٣ ص٤٢٢.

(٧٣) البرادي ــ الجواهر المنتقاة ص١٥٦ .

الأحداث التاريخية الدالة على تبرأ يد الإباضيين من الانغماس في دمـــاء المسلمين مثل صنيع أبن الأزرق .

تقول الإباضية :" خافت أهل البصرة على أنفسهم وعجزوا على حـــرب الخوارج فاستجاروا بالمهلب بن أبي صفـــرة الأزدى العمـــاني العظيـــم المشهور ، فخرج إلى حرب الأزارقة وانتصف منهم وقتلهم ، واســـتولي جميع ولايتهم ، ومن الثابت تاريخياً أن أسرة آل المهلب كانوا إباضيـــة ، وكانوا على اتصال وثيق بالإمام **جابر بن زيد الأزدي** ، ولم يبذل المهلب في قتال الخوارج والقضاء عليهم ما بذل إلا لعلمه بعدم العلاقـــة بينـــهم وبين الإباضية وبالفرق الكبير بين منهج الطائفتين . " (٧٤)

وتوضح الإباضية الصورة أكثر في بيان اعتدالـــهم وتمســـكهم بالكتـــاب والسنة بتطبيق الأحكام الشرعية والالتزام بها دون تطرف عن صـــراط الله المستقيم .

قال أبو إسحاق إبراهيم أطفيش :-

" وفي مقابل ذلك فإن الدارس لتاريخ الإباضية يتبين أنهم يبتغون العـــدل وينشرون العمل بالكتاب والسير على مناهج السياسة التي ســـار عليـــها الخلفاء الراشدون ، وهم يجيزون المناكحة بينهم وبين ســـائر الموحديـــن بينما الخوارج لا يجيزون ذلك كما أسلفنا لأنهم ــ أي الخوارج ــ يـــرون كل من سواهم مشركين . " (٧٥)

---

(٧٤) أبو إسحاق إبراهيم أطفيش ــ الفرق بين الإباضية والخوارج ص٩.

(٧٥) انظر المرجع السابق ص ١٣.

فهذا قول الإباضية من تمسكهم بالكتاب والتزامهم مسلك الخلفاء الراشدين وسلف الأمة و تبرأتهم من الخوارج خصوصاً الأزارقة ، بينما نجد في كتب التراث تخبط الإباضية في معتقدات إسلامية واضحة خالفوا فيها السلف الصالح وأهل السنة وبين ما تقوله الإباضية وبين ما كتب عنهم من عكس ما يدعون يقع الباحث في الحيرة ، والأفضل في رأيي أن الحكم على الإباضية لكي يكون عادلاً منصفاً يجب التعرض إلى بعض معتقداتهم حتى يمكننا الوصول إلى حكم حيادي عادل .

وهذا ما سأتعرض إليه في الصفحات الآتية بإذن الله من وقفة حيادية أمام بعض معتقدات الإباضية خصوصاً رأيهم في عدم أخذهم بأحاديث الآحاد ، ثم إنكارهم رؤية الله ، ثم إنكار الشفاعة لمرتكب الكبيرة .

بعض المعتقدات الإباضية.

ارتضت الإباضية لنفسها بأن تنحو في القضايا الشرعية الإسلامية مسلكاً يقولون عنه إنه مرتبط بما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، لكنهم في كثير من القضايا يسلكون مسلك القدرية الثانية (المعتزلة) في تـأويل النصوص التي توافق عقولهم ، ويزعمون أن ذلك هو الحق وأنهم بحثـوا عنه وأخذوه ولو كان من أبغض بغيض ، وأنهم رفضوا ما دونـه وردوه ولو كان من أقرب قريب .

قال أحد علمائهم : " نحن معاشر الإباضية ٠٠ لا نوجـب تقليـد غـير المعصوم ، ولا نمنع من المجاهدة فيه ، ولا من الاستماع إلى غيره ، بـل نأخذ الحق حيث وجدناه ، ونرد الباطل على من جاء به كما قال ﷺ:

" اقبل الحق على من جاء به من صغير أو كبير وإن كان بغيضاً بعيـداً ورد الباطل على من جاء به من صغير أو كبير وإن كان قريبا . [٧٦]

وهكذا تدعي كل فرقة من الفرق الإسلامية أنها نحت طريق الصواب فـي استقصائها لقضايا ومسائل الشرع سواء في الاعتقادات أو في الفـروع ، لكننا نجد بعد اطلاعنا على مصادرهم أنهم خالفوا نهج السلف الصالح في فهمهم لهذا الدين ومسائله بأن أعملوا العقل فيما ليس له مجال تعقل علـى الإطلاق ؛ لأنه لا اجتهاد مع نص وهذه من أبسط القواعد السلفية التـي نهجوها هم وأهل السنة الذين صاروا على دربهم ، وبإذن الله سنجد فـي العرض الآتي أن الإباضية قد أعملت العقل فيما لا ينبغي ، وردت ركنـاً هاماً في الاستدلال على مسائل الشرع ، وهو الاستدلال بأحاديث الآحـاد وهذا ما سيتضح بإذن الله في العرض الآتي :-

---

(٧٦) الشيخ علي بن محمد المنذري ــ رسالة الصراط المستقيم طبعة عمان ص٦ .

أولاً :- رفض الإباضية الاستدلال بأحاديث الآحاد .

من خلال دراستنا الماضية لمادة الحديث ومصطلحه علمت أن من أهم مصادر التشريع الإسلامي السنة المطهرة ، فهي المصدر الثاني للتشريعات وهى المفصلة لما أجمل من آيات القرآن الكريم ، وهى كل ما نقل عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو إقرار ، والذين نقلوا السنة المطهرة عن النبي ﷺ هم الصحابة رضوان الله عليهم ، أو بمعنى أدق معظم الصحابة وأغلبهم قد رووا عن النبي ﷺ وليس كلهم بل البعض منهم قد قام بهذه المهمة حال وجوده مع النبي ﷺ بأن سمعه أو رآه قال كذا أو فعل كذا ، فالصحابة كلهم لم يكن متيسر لهم الوجود مع النبي ﷺ ليقوموا بهذه المهمة بل البعض قام بذلك ، إما رجال أو نساء على السواء فمن الممكن أن يكون هناك رواة كثيرون سمعوا ورأوا النبي ﷺ قال كذا أو فعل كذا ، ومن الممكن أن يكون السامع أو الرائي للنبي ﷺ واحداً فقط بمفردة ، ومن الممكن أن يكونا اثنين أو ثلاث أو أكثر من ذلك ، وقد سمى علماء الحديث ومصطلحه تلك الأحاديث المروية عن النبيﷺ بمسميات معينة معروفة ومحددة بنوها واصطلحوا عليها بناء على عدد رواة الحديث ، فقد اصطلحوا على أن الذي انفرد برواية عن النبيﷺ بأن هذا الحديث يسمى (**غريباً**) وقد اصطلحوا على الذي انفرد بالاثنين من الرواة بأنه حديث (**عزيز**) وأيضاً الذي رواه ثلاثة أو أكثر يكون اسم الحديث(**مشهور**) أما إذا كان الرواة أكثر من ذلك بأن يكون الرواة اكثر من عشرة أو أربعين فحسب اختلاف العلماء في تحديد ذلك قد سموه حديثا متواتراً .

وقد أصطلح علماء الحديث و مصطلحه على أن الحديث الغريب والعزيز والمشهور تسمى أحاديث الآحاد .